

## الشباب والحب (2)

قال تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ [الكهف: ١٣].

نحن في الخطبة الثالثة عشرة من سلسلة قضايا الشباب.

تحدثنا: لماذا هذه السلسلة، الشباب في القرآن الكريم، الشباب في حديث سيدنا محمد ﷺ، الشباب والعلم، الشباب والعمل، والشباب والمسجد، الشباب والعفة، الشباب ووسائل الاتصال الحديثة، الشباب وبر الوالدين، وكان حديث الأسبوع الماضي عن الشباب والحب، وحديث اليوم إتمام لخطبة الأسبوع الماضي.

قال الله تعالى في سورة النساء عَقَبَ ذَكَرَهُ مَا أَحَلَّ لِعِبَادِهِ مِنَ الزَّوْجَاتِ وَمَا حَرَّمَ: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (26) وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا (27) يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا (28)﴾ [النساء: ٢٦-٢٨].

عن ابن عباس ب أن رجلاً قال: يا رسول الله عندنا يتيمة قد خطبها رجلان، موسرٌ ومعسر وهي تهوى المعسر ونحن نهوى الموسر، فقال ﷺ: «لم يرَ للمتحابين مثلَ الترويح»<sup>(1)</sup>.

أيها الإخوة: سبق في الخطبة الماضية أنه ورد ذكر الحب في القرآن الكريم في قريب من مائة موضع، وفي كتب السنة الأصول في قريب من ألف موضع وهي تتناول: حبَّ الله، حب رسول الله ﷺ، حب المسلمين بعضهم بعضاً، حب الوالدين لأولادهما، وحب الأولاد لأبائهم، حب الراعي رعيته وحب الرعية راعيها، حب الزوج زوجته، وحب الزوجة زوجها، وأخيراً الحب الذي ينشأ بين رجل وامرأة ليسا متزوجين. تحدثنا في الأسبوع الماضي عن الأنواع الأولى وحديث اليوم عن النوع الأخير. وقبل الدخول في هذا الأمر، أذكر أن مجانين الشعر خمسة، خمسة رجال من فطاحلة شعراء العرب أحبوا خمس نساء، عُرفوا بهن:

(1) أخرجه ابن ماجه في "سننه" برقم (1847)، والحاكم في "المستدرک" برقم (2677) وصححه على شرط مسلم واللفظ له، ولابن ماجه "مثل النكاح".

جميل بثينة، قيس ليلي العامرية (مجنون ليلي)، كُثِيرَ عَزَّة، قيسُ بُثْنَى، توبَةُ ليلي الأخيلية، كانوا يذكرونهُنَّ في أشعارهم حيثما حلُّوا وارتحلوا.  
 لكن سلطان العاشقين وسيد المحبين بشهادة نقاد الأدب العربي إنما هو ابن الفارض، عمر بن الحسين أبو حفص، الذي أحبَّ الله وعشقه وشُغِلَ به، فكتب أشعاراً في حبه جل جلاله لم يأت بها

أحد من المحبين ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة: 165] ومما قال:

زدي بفرط الحب فيك تحيراً      وارحم حشاً بلظى هواك تسعراً  
 وإذا سألتك أن أراك حقيقةً      فاسمَحْ ولا تجعل جواري لن ترى  
 ولقد خلوتُ مع الحبيب      سرُّ أرقُّ من النسيم إذا سرى  
 وأباح طرفي نظرةً أَمَلْتُهَا      فغدوتُ معروفاً وكنت مُنْكَرًا  
 فدهشت بين جماله وجلاله      وغدا لسانُ الحال عني مخبراً  
 لو أنَّ كلَّ الحسن يكمل      ورآه، كان مهلاً ومكبراً  
 فأدِرْ لحاظك في محاسن وجهه      تلقى جميع الحسن فيه مصوراً

ونعود إلى موضوعنا: إن الحب الذي ينشأ بين رجل وامرأة ليسا متزوجين منشؤه أمران: إرادي واضطراري، أما الإرادي: فالنظر إليها، والسماع لأوصافها، والجلوس معها ومحادثتها.

قال العلماء: جعل الله العينَ مرآة القلب، فإذا غَضَّ العبد بصره، غَضَّ القلب شهوته وإرادته، وإذا أطلق بصره أطلق القلب شهوته.

وفي الصحيح من الحديث « أن الفضل بن العباس رضي الله عنه كان رديف النبي ﷺ يوم النحر، فمرت ظُعنٌ يجريْن، فطَفِقَ الفضل ينظر إليهن فوضع رسول الله ﷺ يده على وجه الفضل، فحوّل الفضل وجهه إلى الشق الآخر ينظر، فحول رسول الله ﷺ يده من الشق الآخر على وجه الفضل يصرف وجهه»<sup>(1)</sup>. والنظر يكون بالعين، أو بالقلب إذا وُصِفَت المرأة للرجل، ولهذا نهى رسول الله ﷺ المرأة أن تنعت جارتها لزوجها حتى كأنه ينظر إليها<sup>(2)</sup>.

(1) أخرجه مسلم في "صحيحه" برقم (309)، وأحمد في "مسنده" برقم (2266) من حديث ابن عباس ب.

(2) الحديث أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم (5240)، وأحمد في "مسنده" برقم (3668) من حديث ابن

وفي دراسة أجرتها دار أريكن للنشر في السودان جاء أن حوالي 52٪ من الرجال والنساء في العالم الذين وقعوا في الحب كان الأمر من جراء النظرات.

لذلك أمر الله تعالى المؤمنين: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ (30) وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ﴿[النور: 30-31].

إذا كنت ذا حسبٍ زاكٍ وذا إن الشريف بغض الطرف معروف  
إن الزناة أناسٌ لا خلاق لهم فاعلم بأنك يوم الدين موقوف

أما المنشأ الاضطرابي للحب فهو النظرة الأولى وقد قال ﷺ: «يا علي، لا تتبع النظرة النظرة، فإن لك الأولى وليست لك الثانية»<sup>(1)</sup>.

فما القول في من أحب من نظرة واحدة؟

إنَّ العبد في هذا وذاك لا يحاسبه الله على العاطفة القلبية (الحب) وإنما يحاسبه على أفعاله الإرادية وسلوكه.

فإذا أحب لا يحاسبه على ما جرى على قلبه، ولكن يحاسبه على عدم غض البصر، وعلى لفظ اللسان، وعلى الخلوة بالمرأة أو الاجتماع معها فيما لا يرضي الله، وعلاج الحب في أمرين لا ثالث لهما.

الأول: الزواج فقد سبق الحديث: «لم ير للمتحابين مثل التزويج».

وجاء في صحيح البخاري قصة مغيث وبريرة: عن ابن عباس رضي الله عنهما أن زوج بريرة كان عبداً يقال له: مغيث، قال: كأني أنظر إليه يطوف خلفها يبكي ودموعه تسيل على لحيته، فقال النبي ﷺ للعباس: يا عباس ألا تعجب من حب مغيث ببريرة ومن بغض بريرة مغيثاً؟ فقال النبي ﷺ: «لو راجعته» فقالت: يا رسول الله أتأمرني؟ قال: «إنما أنا أشفع»، قالت: لا حاجة لي فيه<sup>(2)</sup>.

وذكر أنه كان بالكوفة فتى جميل الوجه شديد التبعد والاجتهاد فنزل في جوار قوم من النخع فنظر إلى فتاة منهن جميلةً فهوياً وهام بها قلبه، ونزل بالفتاة ما نزل به، فأرسل يخطبها من أبيها، فأخبره أبوها أنها مسماة لابن عم لها، فلما اشتد عليهما ما يقاسيانه من ألم الهوى أرسلت إليه الفتاة: قد بلغني شدة محبتك لي، وقد اشتد بلائي بك، فإن شئت

(1) أخرجه أبو داود في "سننه" برقم (2149)، والترمذي في "جامعه" برقم (2777) وقال: حديث حسن غريب، وأحمد في "مسنده" برقم (22974) من حديث بريرة رضي الله عنها، وبرقم (1369) من حديث علي رضي الله عنه.

(2) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم (5283).

زرتك، وإن شئت سهّلت لك أن تأتيني إلى منزلي فقال للرسول: ولا واحدة من هاتين الحلتين، ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأنعام: ١٥] أخاف ناراً لا يخبو سعيها، ولا يحمد لهيئها.

فلما أبلغها الرسول قوله قالت: وهو مع هذا يخاف الله، والله ما أحدٌ أحقُّ بهذا من أحد، وإن العباد فيه لمشتركون، ثم أفلعت عن الدنيا وجعلت تتعبَّد، وهي مع ذلك تذوب وتتحل حباً وشوقاً إليه حتى ماتت من ذلك، فكان الفتى يأتي قبرها ويدعو لها، فغلبته عينه ذات يوم على قبرها فرآها في منامه في منظر حسن، فقال: كيف أنت وما لقيت بعدي؟ قالت:

نعم المحبة يا سؤلي محبتكم حبُّ يقود إلى خير وإحسان

فقال: إلام صرت قالت:

إلى نعيمٍ وعيشٍ لا زوال له في جنة الخلدٍ مُلكٍ ليس بالفاني

فقال لها: اذكريني هناك، فقالت: لقد سألت مولاي ومولاك أن يجمع بيننا فأعني على ذلك بالاجتهاد في العبادة<sup>(1)</sup>.

فأول علاج للحب الزواج، ولكن أحبُّ أن أذكر للأخوة الشباب أن الحبَّ وحده لا يكفي لبناء أسرة ناجحة، وحياة زوجية مرضية؛ إذ ماذا يعني أن تزوج فتاة لأنك أحببتها فقط في حين أنها ليست ذات دين، ولا هي متصفة بالحياء والأدب، وليست مدربة على طاعة زوجها؟ لا شك أنها ستتعبك جداً في حياتك الزوجية. ماذا ينفعك إذا تزوجت فتاة لأنك أحببتها فقط ولم تنظر إلى أن وعيها ضعيف، أو إلى أنها ليست نظيفة، أو إلى أنها تنتمي إلى أسرة لا حسب لها ولا تقوى؟ لا شك أن حياتكم الزوجية لن تطول.

إن الحبَّ وحده لا يكفي في الزواج؛ إذ لا بدَّ من توافر شروط أخرى في الفتاة كالصلاح، والوعي، والحياء، والطاعة لزوجها، والجمال، والحسب، والنظافة. أجرت جامعة القاهرة دراسةً حول زواج الحب -أي: الزواج الذي جاء بعد قصة حب- فوجدت الدراسة أن هذه الحالات من الزواج ينتهي 88٪ منها بالطلاق. بينما وجدوا أن الزواج الذي لم يسبق بقصة حب وهو ما أسموه (الزواج التقليدي) حققت 70٪ من حالاته النجاح.

(1) مصارع العشاق 1/52.

وبعبارة أخرى فإن الزواج التقليدي بدون قصص حبٍ مخالفة للشرع تُعادل نسب نجاحه ستة أضعاف الزواج الذي بُني على قصص حب مخالفة للشرع. إذاً الحب وحده لا يكفي للزواج وإنشاء أسرة.

**العلاج الثاني للحب العفة عن الحرام:** أي عن النظر إليها، أو الكلام معها، أو المجالسة، أو الملامسة، أو الزنا والعياذ بالله، ولم يزل الناس قديماً وحديثاً يفتخرون بالعفة والطهارة.

جاء في "جامع الترمذي" قصة عَنَّاَق مع مرثد: عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: كان رجلٌ يقال له: مرثد بن أبي مرثد، وكان رجلاً جلدأً يحمل الأسرى من مكة حتى يأتي بهم المدينة قال: وكانت امرأةٌ بغية بمكة يقال لها: عَنَّاَق، وكانت صديقة له، وإنه كان وعد رجلاً من أسارى مكة يحمله، قال: فجئت حتى انتهيت إلى ظِلِّ حائطٍ من حوائط مكة في ليلة مقمرة، قال: فجاءت عَنَّاَق فأبصرت سواد ظلي بجنب الحائط فلما انتهت إليَّ عَرَفْتَنِي فقالت: مرثد؟ فقال: مرثد، فقالت: مرحباً وأهلاً، هَلَمْ فَبِتْ عندنا الليلة، قلت: يا عَنَّاَق، حَرَّمَ الله الزنا، قالت: يا أهل الخيام هذا الرجل يحمل أسراكم، قال: فتبعني ثمانية، فهربت منهم حتى قدمت المدينة فأُتيت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله، أنكحُ عناقاً، فأمسك رسول الله ﷺ فلم يرِدْ علي شيئاً حتى نزلت: ﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرَكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: 2]. فقال رسول الله ﷺ: «يا مرثد، الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرَكَةً، والزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ، فلا تنكحها»<sup>(1)</sup>.

العفة عن الحرام هي العلاج الثاني للحب.

قال مخرمة بن عثمان: نُبِّئْتُ أَنَّ فَتًى هَوِيَ فتاة من أهل البصرة، فبعث إليها يخطبها فامتنعت وقالت: إن أردت غير ذلك فعلتُ، فأرسل لها: سبحان الله أدعوكِ إلى ما لا إثم فيه، وتدعينني إلى ما لا يصلح. فقالت: قد أخبرتك بالذي عندي، فإن شئت فتقدّم، وإن شئت فتأخّر، فأنشأ يقول:

وأسأَلُها الحلال وتَدْعُ قلبي      إلى ما لا أريد من الحرام  
كداعي آلِ فرعونٍ إليه      وهم يدعونهُ نحو الآثام

(1) أخرجه الترمذي في "جامعه" برقم (3177).

**فَظَلَّ مَنْعاً فِي الْخُلْدِ يَسْعَى وَظَلَّوْا فِي الْجَحِيمِ وَفِي السَّقَامِ**

فلما علمت أنه قد امتنع من الفاحشة أرسلت إليه: أنا بين يديك على الذي تحب، فأرسل إليها: لا حاجة لنا فيمن دعوانه إلى الطاعة ودعانا إلى المعصية.

العفة عن الحرام هي العلاج الثاني للحب

وليعلم من أحبَّ فعفَّ أن له أجراً كبيراً عند الله فقد رُوِيَ أَنَّهُ ﷺ قَالَ: « إِنْ

النظرة سهم مسموم من سهام إبليس، فمن غَضَّ بصره عن محاسن امرأة، أورث الله قلبه حلاوةً يجدها إلى يوم يلقاه»<sup>(1)</sup>.

ومن ترك شيئاً لله عوّضه الله خيراً منه في دينه ودنياه.

أيها الإخوة الشباب، هذا هو حديثي لكم عن الشباب والحُب، عن منشئه الإرادي والاضطراري، وعن علاجه في الزواج أو العفة.

أنصحكم أخيراً بثلاث نصائح:

1 - أكثرُوا من ذكر الله.

2 - اصحبُوا الصالحين.

3 - سلُوا الله أن يجعل قلوبكم تتعلق بالله تعالى وبرسوله ﷺ.

**والحمد لله رب العالمين**

---

(1) أخرجه الحاكم في "مستدرکه" برقم (7875) من حديث حذيفة ؓ، وتعقبه الذهبي بقوله: إسحاق وإه وعبد الرحمن هو الواسطي ضعفوه، وأخرجه الطبراني في "المعجم الكبير" برقم (10362) من حديث ابن مسعود. وقال الهيثمي في "مجمع الزوائد" برقم (3/393) فيه عبد الله بن إسحاق الواسطي وهو ضعيف، وأخرجه أبو نعيم في "الحلية" 6/101 وفيه وضاع، وأخرجه الحكيم الترمذي - كما في "كنز العمال" برقم (13076) من حديث عليّ ؓ، وأخرجه ابن النجار من حديث أبي هريرة ؓ كما في "كنز العمال" (13067).